ابو اسحاق محمد المعتصم

227-218 هـ / 841-833 م

اولا : التعريف بالمعتصم

هو ابو اسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور العباسي يقال له : (المثمن) لأنه ثامن ولد العباس وثامن الخلفاء من ذريته ومنها انه تمكن من احراز ثماني فتوحات واقام في الخلافة ثماني سنوات وثمانية اشهر وثمانية ايام وانه ولد سنة ثمانين ومائة في شعبان وهو الشهر الثامن من السنة وانه توفي وله من العمر ثمانية واربعون عاما وانه خلف ثمانية بنين وثماني بنات . كان اميا لا يحسن الكتابة الا انه يوصف بأنه جندي شجاع مدرب في الحرب كما يوصف بقوته الجسمية . بويع له بالخلافة يوم مات اخوه المأمون بطرطوس . وقد سعى بعض الامراء الى تولية العباس بن المأمون لكن هذا الاخير اسرع الى مبايعة عمه احتراما لوصية ولده وتسكينا للجند .

حكم المعتصم الدولة العباسية حكما استبداديا مقرونا بشيء من العطف وحسن التدبير وتميز بالشجاعة والاقدام وشدة اليأس والمهابة . اولع بالعمارة والزراعة وكرس وقته لتشييد القصور وتخطيط الحدائق والبساتين .

ثانيا : الاوضاع الداخلية في عهد المعتصم

1- الحركات العلوية

لم تكن سياسة المعتصم نحو العلويين اقل شدة من الخلفاء العباسيين الذين حكموا من قبله باستثناء المأمون . وقد خرج في عهده محمد بن القاسم بن علي الزيدي في عام (219 هـ / 834 م) بالطالقان فالتف حوله الكثير من سكان كور خراسان . لكن حركته لم تكن منظمة ولم تشكل خطرا جديا على حكم المعتصم الذي امر قائده عبد الله بن طاهر امير خراسان بالتصدي له وتكمن هذا القائد من هزيمته وقبض عليه وارسله الى سمراء حيث سجن فيها

الا انه فر من سجنه بمساعدة رجال من شيعته وتوارى في ايام المعتصم والواثق ثم اخذ في ايام المتوكل فسجن ومات في سجنه .

ويبدو ان عوامل اخفاق حركته رغم انتشارها تعود الى ثلاثة عوامل :

- قوة الدولة العباسية في عهد المعتصم .
- اعتقاد محمد بن القاسم بآراء الزيدية والجارودية التي لم تكن ترضي كثيرا من الزيديين خاصة زيدية الكوفة بالإضافة الى بغض الشيعة الامامية للشيعة الزيدية من اتباع ابي جارود .
- اعتقاد محمد بن القاسم بآراء المعتزلة .

وتوفي في عهد المعتصم في عام (220 هـ / 835 م) الامام محمد الجواد (ع) بن الامام علي الرضا (ع) تاسع أئمة الشيعة الاثني عشرية . وقد اطمأن المعتصم لهذه الوفاة بعد ان خشي ان ينافسه على الحكم ويطالبه بتولي الخلافة على اعتبار ان اولاده من سلالة المأمون من زوجته ام الفضل .

2- حركة الزط

من المصاعب التي واجهت المعتصم واثقلت كاهله اثناء خلافته حركة الزط الذين تمكنوا من السيطرة على طريق البصرة وهددوا مرافق الدولة وفرضوا المكوس على السفن وحالوا دون الوصول الى الامدادات الى بغداد فوجه اليهم قائده عجيف بن عنبسة في عام (219 هـ / 834 م) لصدهم في البطيحة وشدد عليهم حتى طلبوا الامان فنفاهم الخليفة الى عين زربة .

3- القضاء على حركة بابك

كان المعتصم عند حسن الظن به . فقد صعد حربه ضد البابكية حتى قضى على حركتهم في عام (223 هـ / 838 م) فقد ركز جهوده بعد استقرار الوضع الداخلي على حرب بابك وأرسل الحملة تلو الحملة ضده . ومن جهة اخرى فقد تفاقم خطر بابك بعد ان دخلت اذربيجان في حوزته فنشر الرعب في المنطقة الممتدة حتى ايران وتمكنت احدى الفرق العباسية بقيادة اسحاق بن ابراهيم بن مصعب ان تقضي على اتباعه في ايران في عام (218 هـ / 833 م) .

وعين المعتصم في عام (220 هـ / 835 م) اعظم قادته وهو الافشين حيدر بن كاوس اميرا على الجبال وامره بقتل بابك . تميز هذا القائد بالحذر الشديد والخبرة بالمسالك الجبلية . فاتبع خطة عسكرية مرنة تستند على التقدم البطيء . فعسكر في برزند من نواحي تفليس وضبط الحصون

والطرق في ما بينه وبين اردبيل ووزع جنده على مختلف القلاع والمواقع . وكان المعتصم يمده بالإمدادات والمؤن ونفقات الجند باستمرار . ورتب البريد ومهد الطرقات لتأمين المواصلات والاتصالات بسرعة وسلام حتى اضحى تبادل الرسائل بين سامراء ومعسكر الافشين يستغرق مدة اربعة ايام او اقل كما استعمل احمام الزاجل لنقل الاخبار لأول مرة في هذه الحرب وكان يشرف على سير المعارك من سامراء ويضع الخطط العسكرية بنفسه .

وبذلك اضحى للمسلمين سلسلة من الحصون المتماسكة في مواجهة بابك .

ولجأ الافشين الى استعمال الاسلوب التجسسي كي يضعف خصمه ويطلع على خططه . فكان يستقطب من يظفر به من جواسيسه فيضاعف لهم العطاء ويسخرهم في التجسس له .

ادرك بابك على الفور انه يواجه هذه المرة قائدا محنكا وحتى يخفف الضغط عن قواته في اذربيجان ناشد الامبراطور البيزنطي ثيوفيل بمهاجمة الاراضي الاسلامية ووعده بأن يعتنق النصرانية .

نتيجة لهذا الاحتقان كان لابد ان يقع الصدام بين الجانبيين بعد هذه الاستعدادات العسكرية فأصدر الخليفة اوامره الى الافشين ببدء العمليات العسكرية وحدد له مدينة البذ كأول هدف عسكري بعد اضطرار بابك الى التحصن فيها على اثر معركة ارشق .

لم يتسرع الافشين في تقدمه نحو البذ واخذ يزحف متأنيا حتى وصلها وضرب عليها حصارا مركزا متخذا من مدينة الروذ معسكرا جديدا لقواته . وحاول بابك في غضون ذلك استمالته لكنه لم ينجح . وبقي الافشين محاصرا في البذ حتى تمكن من دخولها يوم الجمعة في (العاشر من شهر رمضان عام 222 هـ / شهر اب عام 837 م) .

هرب بابك بعد سقوط البذ الى ارمينيا فكتب الافشين الى ملوكها وامرائها بسد الطرق عليه . وتذكر المصادر ان البطريق سهل بن سنباط تعرف على مكان اختبائه فأمنه ثم غدر به وسلمه الى الافشين .

وجيء بابك الى سامراء في (شهر صفر عام 223 هـ/ شهر كانون الثاني عام 838م) ومعه اخوه عبد الله . وكان يوم وصوله يوما مشهودا . فقد البسه الجند ثيابه الارجوانيه ووضعوه على ظهر فيل وطافوا به في شوارعها . وعندما اضحى في مجلس الخليفة نزع عنه الجند ما كان يلبسه ثم قطعوا يديه و رجليه وراحوا يغرزون سيوفهم ببطء في جسده متجنبين اصابته بمقتل ليطلوا امد عذابه . واخيرا قطعوا رأسه . وارسله الخليفة الى بغداد حتى عرض على الناس بينما صلبت جثته وعرضت في سامراء . وصلب معه اخوه عبد الله . فانتهت بذلك هذه الحركة التي شغلت جانبا من اهتمامات الخلافة منذ عهد المأمون .